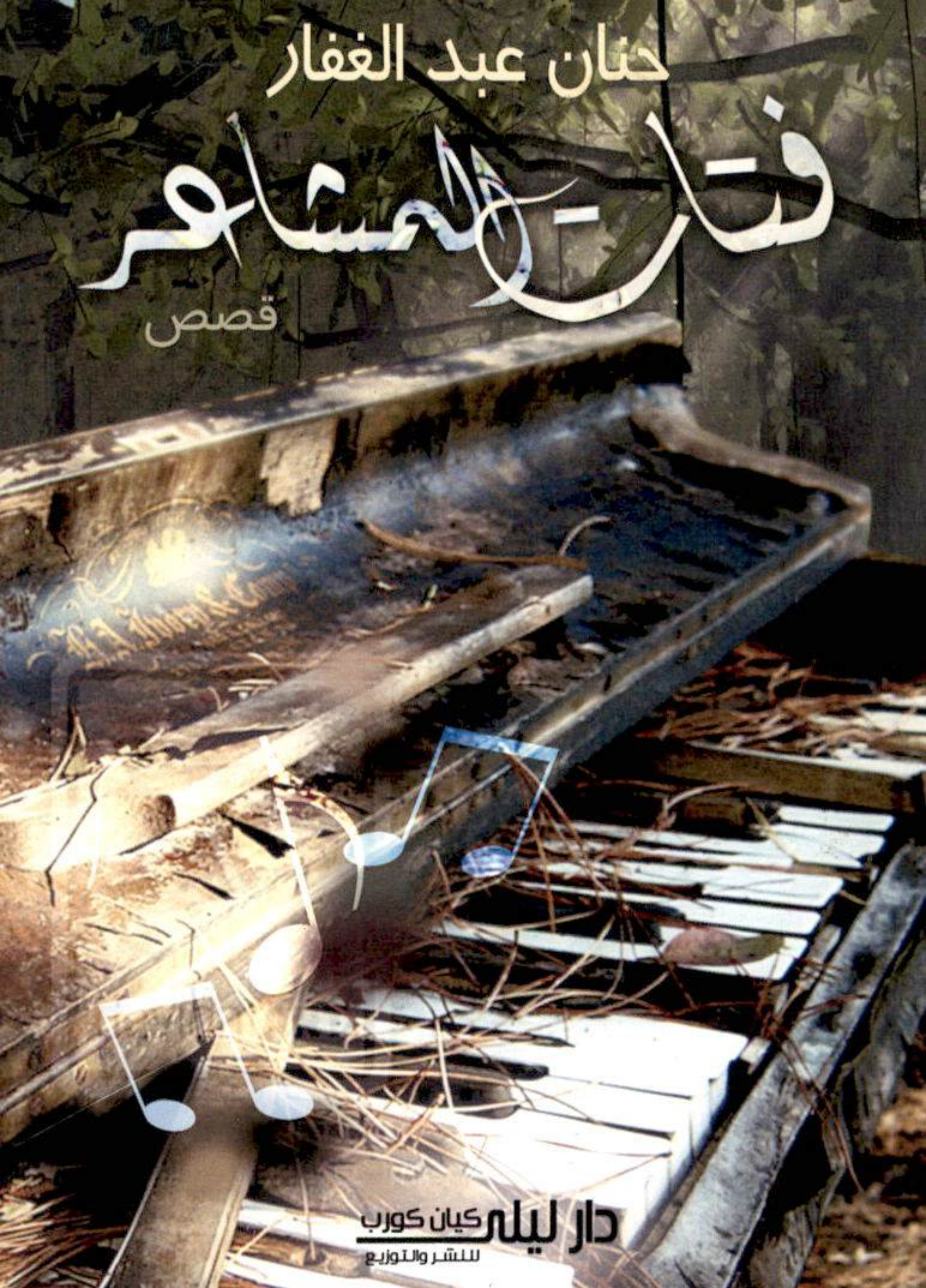


حنان عبد الغفار
فتات المشاعر
قصص
دار ليلى كيان كورب
للنشر والتوزيع

فتات المشاعر

قصص

حنان عبد الغفار

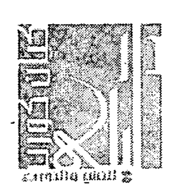
الكتاب:
فتات المشاعر
المؤلف:
حنان عبد الغفار
رقم الإيداع:
13464 /2013
الترقيم الدولي:
978-977-5238-77-1
★★★
الغلاف:
محمد محمود
المدير الفني:
حسام سليمان
التدقيق اللغوي:
محمد عبد الغفار
★★★
التوزيع:
عبد الله شلبي
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

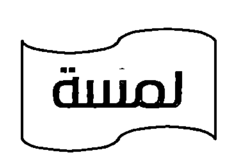
كيان كورب
للنشر والتوزيع
دار ليلى

حنان عبد الغفار

فتات المشاعر







لمسة

لأول وهلة أراد أن يعترض.. يكفيه ما هو فيه من ضيق وألم.. لم يكن ينقصه حمل جديد يوضع على عاتقه.. في تلك الزنزانة المكتظة بالبشر المتهمين بجرائم ارتكبوها أو لم يرتكبوها.. حيث القذارة هي عنوان المكان.. والآدمية قد اختفت بلا رجعة.. بمجرد أن أمال أحد المسجونين رأسه ووضعه على كتف زميله واستسلم للنوم لم يطِق الآخر هذا الوضع الذي من وجهة نظره حطٌّ من كرامته وامتهنها امتهانا لا يغتفر وساوى بينه وبين حثالة البشر الذين جمعهم القدر به في مكان واحد لا يستطيع المرء فيه قضاء حاجته إلا في دلو معدني وأمام الجميع.. هو الذي اعتاد الفراش الوثير والنظافة المثالية والخدمة الدائمة من كل من حوله..

غلى الدم في عروقه وامتلأ غضبا.. وعزم في قرارة نفسه على جعل والده يريهم جميعا كيف يندمون على ما فعلوا بنجله العزيز.. كان على وشك أن يستنهض الآخر ويزجره حتى يرفع رأسه القذر عن كتفه الكريمة، لكن بارقة من حكمة وتروٍّ جعلته يتراجع.. فمن يدريه ما الذي

يمكن أن يفعله به هذا المجرم بل كل أولئك الموجودون بالزنزانة إذا أبدى اعتراضه أو حنقه؟ فكما لم يبال الضابط الذي أودعه الحجز بتهديداته بشأن والده ومركزه المرموق فمن الممكن ألا يبالي أيضا باعتداء هؤلاء الوحوش عليه.. وكان كلما شعر بعجزه عن الخروج من هذا المكان ازداد غضبه وأخذ يرسم في مخيلته ما سيفعله والده في الصباح ويتخيل الضابط المسكين الذي سينتهي مشواره الوظيفي قبل أن يبدأ؛ نتيجة لسذاجته التي جعلته لا يصدق أن هذا الشاب الذي أمامه ابن صفوت بك عبد العزيز، لمجرد أنه لا يحمل تحقيق شخصيته ويصر على أن يبيت ليلته في الحجز ثم يحال إلي النيابة.. ولماذا؟ لمجرد أنه قاد سيارته بعد أن شرب كأسين من الخمر ودون أن يحمل رخصة قيادة.. هل هذه جريمة تستحق؟ إنه لم يصب أحدا ولم يحدث أي ضرر، فلماذا كل هذا العنت وقد كانت الليلة في منتهى الروعة والحياة قد تلونت باللون الوردي والسيارة قد أوشكت أن تنبت لها أجنحة وتحلق به بعيدا؟!

لم يقطع استرساله في أفكاره تلك سوى ذلك الأنين المكتوم الذي صدر من رفيقه؛ حيث أخذ يغمغم بكلمات غير مفهومة لم يميز منها سوى عدة مفردات متناثرة عن «تهاني» التي أضاعت البنت منها لله.. واستمرت تلك الغمغمة قليلا ثم تلاشت وعاد الوضع إلى هدوئه السابق

ولأسباب غير معلومة.. ربما شعوره بالوحدة وسط كل أولئك النائمين أو الموشكين على النوم وابتعاده عن وسائل الرفاهية التي اعتاد عليها، أو ربما لإحساسه بالألم الذي ينطق به جاره كلماته أو ربما لسبب آخر لا يعرفه، وجد نفسه يشعر بالفضول نحو هذا الرجل الذي بعد أن دقق في ملامحه جيدا وجده لا يكبره بكثير.. كان في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره.. عرف ذلك من ملامح وجهه التي لم تشُبها التجاعيد بعد.. لكن على الرغم من ذلك فقد نبتت له بعض شعيرات بيضاء وسط شعره «الأكرت» حالك السواد.. كان رث الثياب وذقنه غير حليق واحتوى وجهه على بضع ندوب من المؤكد أن نفسه تحتوي أضعافها..

وخُيِّل إليه أن هناك تشابها بين ملامحهما، وربما كان ذلك محض وهم.. لكن من «تهاني» تلك؟ من المحتمل أنها زوجته، والبنت التي يتحدث عنها ابنته.. ومن الممكن ألا يكون الأمر كذلك بالمرة، فقد تكون هناك قصة أخرى خفية وأحداث أخرى.. لكن الأمر الوحيد المؤكد هو أن هذا الرجل يتألم.. ومما أثار دهشته أنه بدأ يشعر بالشفقة نحو ذلك الشخص الذي كان منذ دقائق لا يزيد في نظره على كونه مجرما وقمامة ينبغي التخلص منها.. هذا الإنسان الذي لم يجد ما يريح رأسه عليه سوى جسد آدمي آخر عوضا عن كتل الصخر والأسمنت التي كونت

أرضية الزنزانة ومقاعدها..

ملأت الخواطر رأسه وحيَّرته الأسئلة وبدأ يشعر بتشوش ذهنه واختلاط أفكاره.. وعنَّ له فجأة خاطر متعلق بوالده.. ترى هل يحبه مثلما يحب هذا الرجل ابنته؟ هل يراه في أحلامه؟ هل حدث أن رآه في أحلامه مرة؟ وعندما تذكر والده شعر بغصة في حلقه وتمنى لو أن هناك شخصا واحدا في هذه الحياة يحبه حب هذا الرجل لتلك البنت التي أضاعتها «تهاني».. وقبل أن تتحول تلك الغصة إلى دموع في مقلتيه أغمض عينيه بقوة وأراح رأسه على رأس جاره النائم.



تمرد

لم تكن تعلم من أين جاءت بكل هذا الإصرار..

– لا.. لا أريدها.. قلت لا أريدها!

يملؤها العناد والكبرياء كلما وجدت نظرات الدهشة تزداد من حولها.. تعلم جيدا بماذا تحدثهم أنفسهم.. كيف لها أن تشترط أو تتحكم في أي شيء وقد وجدت من يرضى بالزواج منها بعد أن تجاوزت الخامسة والثلاثين؟ عليها أن تقبل صاغرة بكل شيء.. هي آخر فرصة لها.. فحتى لو تجاوزنا عن مسألة السن هي لا تمتلك من المقومات ما يدفع أي شخص للإعجاب بها: جمال متواضع.. ذكاء محدود.. لا تعليم.. كما أن أسرتها ليست بالمستوى المادي الذي يعوض كل تلك العيوب..

لكنها لم تشأ أن تتنازل عن حقها في اختيار الشبكة التي تريدها.. لم تكن تهمها القيمة المادية.. لكنها تريد أن تختار.. فقط تختار.. والكل مندهش.. تزجرها أمها في همس غاضب.. يصوِّب لها والدها نظرات نارية.. ترفع حماتها حاجبيها في استعلاء.. لكنها صامدة.. على الرغم من أن تلك لم تكن عادتها.. لطالما كانت مطيعة

هادئة..

منذ طفولتها وهي منسية.. وجودها كعدمه.. ثالث فتاة لأسرة ريفية تنتظر الصبي بشوق.. بكت والدتها يوم وُلدت ولم يبت أبوها في المنزل تلك الليلة.. وعندما رزقت الأسرة بالصبي المنتظر لم يعد لها مكان في قلوبهم، خاصة أنها لم تكن تتمتع بجاذبية أو تميز من أي نوع.. مجرد واحدة من ملايين البشر كُتب عليها أن تعيش وتموت في الظل..

مضت عليها السنون وهي متفانية في خدمة أسرتها حتى تزوج الجميع ولم يبقَ سواها.. وحيدة متألمة.. لكنها تحاول دوما ألا تُظهر ذلك.. لم تكن تسمح لنفسها أن تفكر في الرجال لأنه عيب كبير.. هكذا تعلمت.. لكن عندما كانت ترى أبناء إخوتها يلعبون أمامها وعندما تنفرد أختاها ببعضهما وتهمسان بكلام غير مسموع كانت تشعر بحرقة في صدرها وتتساءل ألن يأتي وقت يشعر فيه بها أي إنسان.

وعندما تقدم هذا الشاب لخطبتها لم يصدق أحد.. فما الذي يعجبه فيها؟ إضافة إلى أنها أكبر منه.. كان الجميع يشكُّون أن هناك أمرا ما خطأ.. فربما كان معتوها أو نصابا.. كانوا على استعداد لأن يصدقوا أي شيء إلا أنه يريدها..

كانت تسمع والديها يجأران بالدعاء أن يتم الموضوع على خير.. كانا ينظران لها في شفقة وخوف.. اتخذا الكثير من الضمانات على الشاب حتى لا يتركها فجأة ويمضي.. وعندما اتجهوا نحو متجر الذهب ليشتريا لها شبكة العروس أرادا أن يختارا ذهبا في حدود المبلغ المتفق عليه.. كانا ينتقيان بنفسيهما دون أن يسألاها عن رأيها كأنها غير موجودة.. استفزها الموقف.. شعرت كأنها دمية في أيديهما يفعلان بها ما يشاءان.. ولأول مرة تعلن عن تمردها..

تجمد الموقف.. لم يدر الوالدان كيف يتصرفان.. هل جُنت الفتاة؟ ألم تجد وقتا أفضل من هذا لتجن فيه؟

مرت دقائق بدت كأيام إلى أن تدخَّل هو.. كان صامتا طوال الوقت، لكنه تحدث في تلك اللحظة..

– دعوها تحصل على ما تريد..

– ماذا؟

صدر التساؤل منها قبل أن يطلقه أي من الآخرين..

نظر لها في هدوء وقال:

– أنت العروس هنا ومن حقك أن تختاري..

لم تصدق ما سمعت وألجمت الدهشة ألسنة الجميع:

- لكن...

كانت هذه من والدته التي لم تكن راضية عن هذه الزيجة من البداية إلا لأنها تعلم جيدا أن ظروف ولدها المادية لن ترضى بها إلا مثل تلك العانس.. لكن إشارة منه لوالدته جعلتها تكظم غيظها مع نيتها في مخاطبته في الأمر لاحقا..

- لكنك لن تستطيع تحمل تكلفة هذه الأسورة..

قالتها العروس..

- لا يهم.. يمكنني الاقتراض..

- لا.. سأحصل على التي اختارتها والدتي؛ فهي جيدة أيضا..

وأشرق وجهها بابتسامة رضا..

في طريق العودة جذبت الأم ولدها بعنف وقالت:

- ما هذا الذي فعلته؟ أهذه التي قلت إنك تريد الارتباط بها لأن لديها قلبا من ذهب؟ واضح أنها تبحث عن نوع آخر من الذهب غير الذي تبحث أنت عنه..

- إنها تدافع فقط عن كرامتها..

– أيَّة كرامة تلك التي تتحدث عنها؟ مثلها قد انتهت صلاحية كرامتها منذ وقت طويل..

أما هي فكانت تسير خلف الجميع بهدوء وارتياح.. فلأول مرة – منذ علمت أن هناك من تقدم لخطبتها، بل منذ ولدت – شعرت بالفرحة تغمر قلبها.. وابتسمت من جديد..

يصلح لهذه المهمة.. لقد طلب من مدير الفندق لأكثر من مرة أن يجعله يعمل مساء في المطعم كما يعمل به في النهار لكنه رفض.. لم يكن يفهم سر هذا الرفض القاطع.. لكن أيا ما كان سبب الرفض فلا يهم.. المهم أنه سيستمر في هذه الوظيفة حتي يأذن له المدير، فهو لا يستطيع ترك العمل أو حتى ترك الوردية الليلية.. إنهم فقراء هكذا، فماذا لو نقص دخلهم؟

«حاول تنسى»..

تناول الكأسين من جديد وانصرف مع حاملي الشعلات.. وتغيرت الموسيقى.. وقبل أن يخرج من باب القاعة تعثر في أحد الأسلاك التي يستخدمها مصورو الفيديو.. وقع على وجهه وطارت الصينية بما عليها في الهواء لتسقط على الأرض.. لم يكن يفكر وهو ملقى على الأرض سوى فيما سيقوله المدير وما الجزاء الذي سيناله.. لكنه عندما نهض وجد كل شيء كما هو.. لم يتغير شيء ولم يشعر به أحد.. حتى زميلاه حاملا الشعلات كانا قد خرجا من القاعة قبله فلم يلحظا سقوطه..

نهض هو معفرا.. تناول الأشياء المحطمة ووضعها على الصينية وخرج وهو يرغم نفسه على نسيان ما حدث.. اتجه إلى إحدى المرايا ليرى إذا كانت هناك آثار جروح على وجهه.. لكنه لم يجد سوى دمعة واحدة رفضت أن تنصاع لأمره بالنسيان..



«يا مسافر وحدك.. يَا مسافر وحدك.. وفايتني..».

دائما ما ينطلق صوت المذياع من الشقة المجاورة لشقتي في ساعات مبكرة من الصباح.. كأن جارتي السيدة حياة تريد بكل هذا الصخب أن تقتل وحدتها.. فمنذ عدت من الخارج وهي لا تكف عن تشغيل كل آلات المنزل الصاخبة وفي كل الأوقات، حتى إنني لا أدري متى تنام..

لكن اليوم إجازة.. ولا بد أن أحصل على حقي في الراحة.. فأمامي ستة أيام أخرى من العمل الشاق حتى تأتي العطلة المقبلة؛ لذلك قررت أن أذهب إليها لأطلب منها خفض الصوت قليلا لكنني ترددت؛ فهي امرأة عصبية متقلبة المزاج وأنا لا أطيق جو الشجار والمشاحنات..

لم تكن «حياة» هكذا فيما مضى.. كانت رقيقة وجميلة ويغلب عليها الهدوء.. اعتدنا في طفولتنا أن نلعب معا في الشارع — وقت أن كانت الشوارع آمنة — وعندما كبرنا وتخرجنا في الجامعة سافرتُ للعمل في الخارج.. كانت لديَّ أحلام وطموحات لا تنتهي.. ولم أسمح لنفسي بمجرد التفكير في الزواج وتكوين أسرة.. استغرقت في رحلتي لتحقيق

أحلامي خمسة وعشرين عاما، وعدت.. وقد نجحت في تكوين ثروة علمية ومادية لا بأس بها. بينما فشلتُ فشلا ذريعا في جمع أي ثروة اجتماعية.. عدت لأجد «حياة» وحيدة.. حزينة.. غامضة.. ليس لديّ أي فكرة عن التجارب التي خاضتها طوال السنين الماضية والتي غيرت من طباعها وملامحها..

صخب المذياع يصر على اختراق طبلة أذني ويوشك على ثقبها بجدارة.. ومخزوني من الصبر والتحمل قارب على النفاد.. والنوم قد فارقني بلا رجعة، ولا بد أن أضع حدا لهذا الأمر!

اتجهت نحو الباب المقابل لشقتي وضربت الجرس بشكل عنيف حتى تعلم أني غاضب، لكنها ما إن فتحت الباب ورأيت نظرتها التي تحتوي على هدوء منذر بعاصفة سرعان ما بدأ غضبي يتهاوى.. وابتسمت ابتسامة متوجسة وعجز لساني عن الكلام..

بقي الوضع متجمدا لدقيقتين مرتا عليّ كأنهما سنتان، كنت أنتظر أن تبدأ هي بسؤالي عن سبب قدومي، لكنها لم تفعل، فما كان مني إلا أن تململت محرجا ووسعت ابتسامتي قليلا وقلت:

– هل... هل من الممكن أن أطلب من حضرتك طلبا؟

فلم تنبس ببنت شفة.. فأكملت سؤالي قائلا:

- هل يمكنك خفض صوت المذياع قليلا؟

فاكتفت بهز رأسها إيجابا في ملل وابتسمت ابتسامة ضجرة، وأغلقت الباب بسرعة قبل أن أهمّ بالرحيل..

وعندما عدت إلى شقتي لم يتغير صوت المذياع ولم ينخفض..

قررت الخروج للتمشية قليلا في جو صباح يوم العطلة الهادئ لعلي أتخلص من مزاجي المتعكر.. لكني فوجئت بصوت المذياع يختفي ثم بطرق على بابي وفتحت لأجدها أمامي، وقد زال ما كان بها من غضب وملل وذكّرتني ملامحها هذه المرة بما كانت عليه منذ زمن:

- آسفة على المعاملة الجافة التي عاملتك بها.. لست أدري لِمَ فعلت ذلك.. لكني أصبحت عصبية مؤخرا.. أصبح الخوف يسيطر على كل تصرفاتي.. أصبحت أخاف الناس جميعا ولا أملك في مواجهة خوفي هذا إلا أن أصبح عدوانية مع الجميع.. هل تعلم؟ أظن أن الوحدة توشك أن تصيبني بالجنون.. عندما تنقطع الكهرباء وأجد نفسي عاجزة تماما عن فعل أي شيء أفقد صوابي.. لست أدري لماذا أقول لك هذا الكلام.. لكني أكرر أسفي..

كنت أستمع إلى كلامها وأنا أتخيل لنفسي حياة أخرى غير التي عشتها: بيت وأسرة.. دخل بسيط.. خلافات حول مصروف المنزل.. أطفال تتقافز هنا وهناك مالئة دنياي صخبا وحيوية.. لقد كانت «حياة» هي أنسب من يقاسمني تلك الأحلام..

أحست «حياة» أنني فقدت التركيز في كلامها وأن بالي منشغل بأمر آخر فبدا عليها الحرج وقالت:

– إذا أردت مني أي شيء فلا تتردد في طلبه، فنحن أخوان.. أليس كذلك؟

فأومأت بالإيجاب وأغلقت الباب خلفها وأنا مسترسل في أحلامي، وشعرت لأول مرة أني وحيد!

رائحة البهجة

استيقظ من نومه متجهما كعادته.. يوم ممل آخر من حياته البائسة التي لا يرى فيها شيئا واحدا يسعده أو يشعره بقيمتها.. كل التفاصيل تتشابه.. يشعر أنه واحد من ملايين البشر الذين يشبهونه، موظف في إحدى الوزارات يتقاضى راتبا يقيه هو وأسرته بالكاد من التسول.. زوجة متوسطة الجمال وقد خبا ما كان لديها من نضارة بعد إنجابها طفلين مشاغبين لا يكادان يدعانها تستريح ولو للحظات..

اتجه نحو الدولاب ليرتدي ملابسه المنهكة مثله، وأسرع خارجا إلى عمله حتى لا يُحتسب له اليوم غيابا على الرغم من عدم تحمسه للعمل إطلاقا.. قطع درجات السلم بسرعة.. وقبل أن يصل إلى الشارع انقبضت ملامح وجهه بحكم العادة انتظارا للرائحة التي تصدمه بمجرد وصوله لأسفل.. رائحة القمامة المكدسة إلى جوار منزله، التي اعتاد من أجلها ألا يتناول أي طعام في الصباح حتى لا يضطر إلى إفراغ جوفه عند الاصطدام بها.. لكن لدهشته لم تقابله الرائحة هذه المرة.. نظر نحو المكان الذي تتجمع فيه القمامة فوجدها ملقاة هناك كعادتها.. لكنها بقيت بلا

رائحة.. اقترب منها أكثر ولم يشعر بأي شيء.. لم يفهم ما يحدث بالضبط، ربما أصيب بنزلة برد مفاجئة.. لكنه لا يشعر بأي من أعراض الإنفلونزا.. هل فقد حاسة الشم؟ هذا هو الاحتمال الأرجح.. عموما لو كان فقدان حاسة الشم يعني خسارته رائحة القمامة وعرق المتزاحمين في طابور الخبز ودورات المياه غير الآدمية الموجودة في مقر عمله فهي نعمة كان ينتظرها منذ زمن..

عندما جلس أمام مكتبه البالي ذي الأوراق المكدسة التي لم يلمسها منذ شهور، قام بتحية زملائه بسرعة وبطريقة روتينية ثم طلب كوب الشاي الصباحي المعتاد ليبدأ في تناول إفطاره..

عندما وصل الشاي بطريقة تلقائية فعل مثلما اعتاد أن يفعل.. قرَّب الكوب من أنفه وفمه ليشم الرائحة التي توقظ حواسه قبل أن يصل المشروب ذاته إلى جوفه أو معدته.. لكنه هذه المرة لم يشعر بشيء.. وتذكر المشكلة التي بدأت منذ الصباح.. ولأول مرة سمح لعينيه أن تبصرا لون الشاي.. وبدا له أن الكوب أجمل بكثير من ذي قبل، ولوهلة تمنى لو عادت له حاسة الشم.. ثم تناسى الأمر وتناول إفطارا بلا مذاق، ثم انخرط في حديث صاخب حول العلاوة المنتظرة وذلك الموظف الجديد الذي لا يفقه شيئا في أصول العمل..

في طريقه للعودة إلى منزله، استطاع أن يلاحظ تلك الحديقة التي يمر عليها كل يوم في طريقه من وإلى العمل.. رغم أنه لم يكن يراها من قبل.. وتمنى لو وصلته رائحة الزهور هذا اليوم بالذات وازداد شعوره بالضيق..

عندما عاد إلى بيته سأل زوجته بلهفة عما تعده من طعام..

– ليست هذه عادتك.. تستطيع دائما توقع نوعية الطعام قبل أن تدخل من باب الشقة.. خاصة إذا كان طعاما تحبه مثل اليوم..

بصوت عال أجابته زوجته من داخل المطبخ، ثم اتجهت خارجة إليه عندما وجدته لا يرد عليها وسألته:

– ما بك؟!

– لقد فقدت حاسة الشم!

– ولماذا تقولها بحزن هكذا؟ وما المشكلة؟ مجرد نزلة برد وستزول.. هيا لنتناول الطعام قبل أن يبرد..

في تلك اللحظة تنامى لديه شعور بأن هذا اليوم ليس عاديا.. كأن هناك رسالة ينبغي أن تصل إليه، خاصة أنه ولأول مرة أحس بكم الحنان الذي تغدقه عليه تلك المرأة الواقفة أمامه والتي تدعوه لتناول طعام قضت

يومها بأكمله وهي تعده من أجلـه هـو وأولاده.. حتـى الطفـلان بـدت لـه شقاوتـهما اليوم محببة ومثيرة للبهجة.. وتخيل حياته من دونهـم، همـا وأمهما، بل لم يستطع تخيلها..

وعندما استيقظ من نومه في اليوم التالي كانت حاسة الشم لا تـزال متعطلة عنده، لكنه لم يكن متجهما أو مكتئبا كعادته.. فقد استرد اليـوم حواسَّ أخرى كثيرة كان قد فقدها دون أن يشعر..



لم تكف يوما عن منح شعرها اللون الذهبي بصبغة زهيدة الثمن تشتريها من صديقتها التي تعمل في محل كوافير.. ولم تكف كذلك عن الاقتناع بأن هذا اللون يلائمها، على الرغم من أنه كان واضحا تماما أن بشرتها الداكنة لا تتناسب مع هذا اللون الأشقر، لكنها كانت أمنيتها الداخلية منذ طفولتها..

كم تمنت لو وُلدت شقراء.. بشرة بيضاء.. شعر ذهبي.. عَينان زرقاوان.. تمنت كذلك لو تلونت حياتها بذات الألوان: أبيض.. منزل واسع.. مريح.. نظيف.. تدهن جدرانه كلها باللون الأبيض فيصبح أكثر اتساعا، بدلا من الحجرة الضيقة التي تسكنها مع أسرتها المكونة من ستة أفراد.. ذهبي.. الكثير من المجوهرات التي تتزين بها وتزداد تألقا.. أخضر.. حديقة عذبة الرائحة تحيط بمنزلها الجميل.. أزرق.. حوض سباحة في بيتها يذهب عنها حرارة الجو عندما تجلس أمامه.. لكنها لم تكن تمتلك أيا مما تمنت ولا حتى الملامح، وكان كل ما تستطيع فعله هو تلك الصبغة كمحاولة يائسة..

واليوم هو يوم آخر من حياتها التي سئمت منها، تتجه في غضب نحو الكشك الذي تمتلكه وتبيع فيه بعض الأشياء البسيطة من حلويات وسجائر.. وقد اعتادت هجمات شرطة المرافق التي تستولي على بضاعتها؛ لأنها لا تمتلك ترخيصا، وأحيانا تفقد مكاسب أسبوع كامل في مثل تلك الهجمات.. كما اعتادت أن تراقب من يشترون منها بقدر لا بأس به من الحسد لأنهم ربما يتمتعون بحياة كانت تتمناها لنفسها..

وفي ذلك النهار جاءت إحدى تلك الهجمات.. الشرطة تهجم عليها.. تجمع أشياءها.. تجرها جرا نحو القسم؛ لأنها لم تتمكن من الهرب بسرعة وإخفاء بضاعتها.. تنتظر جالسة على الأرض خارج غرفة ضابط الشرطة كما تعودت.. وكل ضباط الشرطة الذين قابلتهم في حياتها سواء.. طالما عاملوها كحشرة وليس كإنسانة: ضرب وإهانة وحجز ثم إفراج دون أن تحصل على بضاعتها.. كم تمنت أن ترى أحدهم في موضع إهانة مثلها.. هي مستعدة لدفع نصف عمرها مقابل أن تراهم جميعا تُمتهن كرامتهم مثلما يفعلون بها..

جلست في انتظار تلك المقابلة التي تمقتها وتخشاها.. إلى أن جاء العسكري وجرها جرا إلى الداخل لمقابلة الضابط.. كان وجها جديدا لم تره من قبل.. ضابط جديد.. وسيم.. كم تمقت وسامته، تشعر أن وراءها

وحشا كريها.. انتظرت أن يناديها بأقذع الألفاظ وأن يسب والديها كما اعتادت.. لكنه لم يفعل:

- تقدمي يا إحسان..

هي أول مرة يناديها أحد الضباط باسمها.. لم تصدق أذنيها!

- لماذا تديرين الكشك من دون ترخيص؟

بقيت ساهمة في مكانها ولم تنبس ببنت شفة.. كانت مفاجأة غير قابلة للتصديق أن يكلمها أحد الضباط بهذه الطريقة.. وظنت أنه أسلوب جديد.. يبدأ كلامه بهدوء ثم يباغتها بالضرب والإهانة المعتادين..

حاولت أن ترد فخرجت كلماتها متقطعة:

- لـ... لا أملك نقود الترخيص يا سعادة البيه!

لدهشتها أطرق الضابط ثم قال:

- حسنا.. انصرفي يا إحسان..

بدهشة قالت:

- مـ... ماذا؟

- انصرفي.. مع السلامة..

بسرعة استجابت لما قال وهي متأكدة أن ما يحدث هو حلم وستفيق منه بعد قليل على صفعات الضابط الوسيم.. وهمت بفتح الباب وقبل أن تغادر قال الضابط في بساطة:

- لماذا صبغتِ شعرك باللون الذهبي؟

اتسعت حدقتاها وازدردت لعابها وهي تقول:

- ماذا؟

- أقول إن اللون الذهبي لا يلائمك.. الطبيعي أفضل..

وابتسم ثم أردف:

- مع السلامة يا إحسان.. وحاولي استخراج الترخيص في أسرع وقت «علشان ما تتبهدليش».

وغادرت.. خرجت من باب القسم غير مصدقة لما حدث.. ولدهشتها وجدت قلبها خاليا من الإحساس الذي طالما لازمها.. إحساس الغضب والكراهية لكل من حولها.. وقررت ألا تظهر شعرها أو تصبغه بعد الآن..

بعض من المشروب البارد

شعر بظمأ شديد فتوجه إلى أقرب محل لبيع العصير ليبتاع بعضا منه على الرغم من أنه كان في عجلة من أمره.. إنه اليوم الأول وقد آن الأوان.. صحيح أنه لم يتفاءل بأن تكون بداية عمله بعد عشر سنوات من الانتظار في ورديات ليلية، لكنه حاول ألا يعير الأمر الكثير من الاهتمام.. طلب من البائع أن يعطيه بعضا من عصير التمر هندي، وعندما صبه البائع في الكوب نظر في ساعته فوجد أنه قد تأخر كثيرا على موعده..

كله من هذه المرأة التي تزوجها.. لم يكن يعلم أنها عليلة بهذا الشكل في بداية الأمر، لكنها منذ وضعت مولودهما الوحيد منذ ثمانية عشر شهرا وهي لا تكف عن الشكوى.. هو يعلم أنها تتألم كثيرا؛ فقد قال الطبيب ذلك، لكن آلامه هو جعلته يفقد الإحساس بآلام الآخرين.. لم يعد يستطيع النوم ليلا أو التركيز نهارا.. طلب من البائع أن يفرغ له ما في الكوب في كيس من البلاستيك ليتناول المشروب أثناء قيادته للدراجة في طريقه لعمله الأول والجديد.. نظر له البائع شزرا ثم فعل ما طلبه منه..

كان الجو حارا والشمس حارقة، على الرغم من أن الغروب لم يبق عليه سوى ساعة أو أقل.. لم يكن يطيق القميص الذي يرتديه، بل لم يكن يطيق جلده نفسه.. بدأ يمتص المشروب البارد ببطء فيسري في أرجاء جسده وروحه فيشعره بالانتعاش والنشوة.. يشعر بالتنميل اللذيذ في خلايا مخه ويفكر في ابنه وزوجته.. يبدل بقدميه على البدال ويسرح بخياله في عمله الجديد..

إنه عمل لا يعرف عنه إلا القليل.. أحيانا كان يصلّح بعض الأعطال البسيطة في أجهزة المنزل الكهربائية لعدد من الجيران، فقد كان هو نفسه عاطلا، فلماذا لا يحاول إصلاح الأعطال؟ شهادة.. من الأفضل له ألا يتحدث عن شهادته التي لا يفهم كيف حصل عليها بالضبط. كل الذي يعرفه هو أنهم لا يطيقون في المدارس التلاميذ من أمثاله فيحاولون الخلاص منهم بأي طريقه حتى لو كانت هي إعطاءهم النجاح الذي لا يستحقونه..

كان يشعر أن الحظ قد قرر أن يخاصمه طوال حياته، فكانت وفاة والده وهو في الإعدادية، وخروجه للعمل في هذه السن الصغيرة في أحقر الأعمال وأقلها أجرا وأكثرها تعبا، ما أدى إلى فشله في الشهادة الإعدادية والتحاقه بتلك المدرسة التي حصل منها على شهادته التي لا يعرف لها

معنى.. الأمر الذي أطفأ تلك الجذوة التي كانت يوما مشتعلة برأسه.. كان والده يراه عبقريا.. يرى فيه كل أحلامه التي لم يحققها ويتمناه طبيبا أو عالما، وها هو الآن يتجه بدراجته إلي عمله الجديد المرموق تاركا زوجة مريضة وابنا رضيعا ولا يزال يمتص المزيد من مشروب التمر هندي البارد الذي يخفف عنه وطأة حرارة الجو..

وكأن الأمر كان ينقص ما حدث؛ إذ وجد أن الشارع الرئيسي الذي يوصله إلي عمله مغلق ومعطل بعد حدوث أشياء كثيرة معتادة على غرار انفجار ماسورة مياه أدت إلى اصطدام سيارتين فاشتعل حريق وتكسر زجاج واجهة أحد المحال ونشبت المشاجرات وتعالت أصوات أبواق السيارات وصياح الناس وصراخ الأطفال ونباح الكلاب.. باختصار.. هذا المكان يحتاج دهرا ليعود إلى سيرته الأولى.. وباختصار أكثر أصبح عليه أن يلجأ إلى الشوارع الخلفية الكئيبة القاتمة التي يبغضها بشدة ليصل إلى عمله.. فهو وإن كان ذا حالة مادية سيئة إلا أنه لا يسكن في مكان مثل هذا، بل في مكان مليء بالبشر شديد الازدحام أربعا وعشرين ساعة؛ لذلك فهو لم يكن معتادا على تلك الشوارع الصامتة المظلمة التي قد تفاجأ فيها بأي شيء..

كانت الطرق متعرجة والدراجة تهتز من تحته ولم يكن ينقصه

شيء في هذا اليوم الذي لا يبدو أنه سينتهي على خير سوى سقوط سير الدراجة عن مساره واضطراره للسير على قدميه وجرها إلى جواره جرا..

كان يلعن كل شيء في حياته انتهى به إلى هذا الموقف، بداية من حظه ومدرسته وعمله، مرورا بزوجته وابنه الصغير، وصولا إلى من تسبب في انفجار ماسورة المياه.. وحانت منه التفاتة إلى موضع قدمه ليجدها.. هوة عميقة مملوءة بالمياه القذرة.. بالوعة مفتوحة على مصراعيها أمامه بينها وبينه سنتيمترات وكاد يسقط فيها الآن.. وأخذ يقلب في رأسه تلك المعادلة.. هو والدراجة والشارع الجانبي.. المياه القذرة.. الميتة البشعة.. لا يوجد أحد حوله كان من الممكن أن ينقذه لو سقط..

نظر إلى السماء فوجد الشمس قد اختفت وإن لم تبخل على الوجود ببقايا نورها، ثم التفت إلى يده اليمنى فوجدها ممسكة بكيس من البلاستيك وقد فرغ من محتواه.. فرماه في البالوعة وتأمله وهو يختلط بالمياه.. وشعر بروحه تهدأ وخلايا عقله تصفو وتنتبه من جديد.. وقد زال عنه الحر وضيق الصدر.. وتقدم على مهل ساحبا دراجته خلفه وعلى ثغره بداية ابتسامة يخشى أن تتسع فيصمه الناس بالجنون..



آثار عالقة

كم أكره السير على الأقدام في شوارع مدينتي المنسية.. رغم أن المشي رياضة مفيدة للصحة.. لكن اعتراضي ينصبُّ على الشوارع والطرقات التي امتلأت بالقذارة والأوساخ.. وقد سقطت بعض الأمطار.. ما يعني أن الأسفلت أصبح مسرحا لمزيج منَ القمامة المختلطة بروث بعض الحيوانات ومياه الصرف الصحي التي تسربت من إحدى البالوعات التالفة مع آثار المطر، والتي كانت ضرورية لاكتمال المشهد واستحالة السير على الأقدام..

وبينما أنا في محاولاتي للحفاظ على ذيل البنطلون الذي أرتديه ووقايته من الاتساخ في برك الماء المتناثرة حولي، إذا بي ألمح طفلا يسير حافي القدمين وهو ممسك بثمرتين من الموز.. كان يمسكهما ككنز غالٍ.. ألقيت نظرة بعيدة إلى الأمام فوجدت بائعا يسير بعربة موز، فخمَّنت أنه أعطاه الثمرتين، وربما سقطتا من العربة.. كان الصبي صغيرا وقدماه صغيرتين.. لم أكن أدري كيف يسير حافيا وسط كل تلك الحفر وقطع الزجاج وغيرها من عقبات.. لكنه كان يتقافز في مرح وهو يقشر الثمرة

الأولى وبدأ في قضمها لترتسم على وجهه علامات التلذذ والسعادة.. يستمر في القفز في مرح وأنا مستمر في متابعته، وحانت منه التفاتة نحوي فاقترب مني وأخذ يطلب بعضا من المال في إلحاح.. حاولت الابتعاد عنه ولم أستطع مغالبة إحساسي بالانزعاج.. لكنه أصر على طلبه، فما كان مني إلا أن نهرته فابتعد في خيبة أمل وعاد إلى طريقه وقفزه وموزه.. ولاستغراقي في متابعته لم ألحظ السيارة القادمة نحوي في الاتجاه العكسي التي أعمتني كشافاتها!

* * *

في المستشفى أخبرني الطبيب أن حالتي جيدة.. بضعة رضوض في أنحاء متفرقة من جسدي.. لا كسور.. لا ارتجاج في المخ.. ويمكنني العودة لمنزلي في التو.. نهضت جالسا على السرير وهممت بالمضي لأجده هناك.. واقفا على باب الغرفة وفي يده ثمرة الموز الأخرى التي لم يأكلها بعدُ.. كان يبتسم في سخرية.. ولما وجدني جريح الكبرياء خائر القوى مبعثر الكرامة زالت تلك الابتسامة وأشفق عليَّ.. اقترب مني ومد يده إليَّ يعطيني ثمرة الموز.. لم أدرِ كيف أتصرف.. وبقيت مبهوتا في جلستي على السرير.. فقام هو بتقشيرها وقربها من فمي.. بقيت مذهولا ولم أفق إلا بسبب تلك القطرات الدافئة التي شعرت بها تنساب على وجنتي.. ثم

يده الصغيرة تمسحها وتعطيني الثمرة من جديد!

* * *

في طريقنا للخارج أنا والصبي مستندا عليه.. رأيت انعكاس صورتي في المرآة الموضوعة في ردهة المستشفى.. لأجد أن وجهي قد انطبعت عليه بعض من الأتربة التي كانت عالقة في يد الصغير.. لكنني لم أهتم بإزالتها..

العملاق والصغيرة

تعجبتُ عندما رأيته.. ليس لأنه أطول شخص وقعت عليه عيناي منذ أدركت ما حولي.. ولا لأنه على الرغم من طوله الفارع كان مرتديا بنطالا قصيرا جدا يتجاوز ركبتيه بقليل و«تي شيرت» واسعا باهت اللون قصير الكُمَّين، على الرغم من أن الجو كان شديد البرودة لدرجة أن مجرد رؤيته بهذه الملابس الخفيفة جعلني أحكم غلق معطفي فوق صدري خوفا من أن تصيبني عدوى البرد..

لم أتعجب أيضا لفارق الشكل بينه وبين الفتاة الصغيرة.. كان أسمر اللون قاسي البشرة بفعل تراكمات سنين طويلة من آثار عوامل الجو والمناخ والتعرض للشمس.. فلا يمكنك مهما اتسمت بالإنصاف أن تصفه بالوسامة.. بينما تمتلك هي عينين رشيقتين وملامح جذابة شديدة الصفاء.. لكن الذي أصابني بالدهشة حقا هو انحناؤه على يد الصغيرة في اهتمام عظيم.. استجمع كل عملقته وكرَّسها لتنصب على اليد المجروحة؛ حيث أخذ يضمد لها رسغها الذي خمنت أنه مجروح أو ملتوٍ.. كانت هي تتألم قليلا.. وكلما تأوَّهت حاول هو أن يقلل من شدة عمله.. هذا الرجل

الذي لو حدث ورأيته سائرا وحده في الظلام لأصابني الرعب منه.. حوَّلته الصغيرة إلى كائن رقيق مرهف..

أعجبني مرأى الفتاة فابتسمتُ لها، لكنها لم تبادلني الابتسام، بل نظرت لي في احتقار كأنها ظنت أني أسخر منها أو كأن لسان حالها يقول: «ما الذي يستحق الابتسام؟ هل هذا وقته؟» فشعرت بالخجل من نفسي وهممت بالمضي، لولا أن لمحت وجهها يضيء بابتسامة طفلة لأول وهلة ظننتها لي، لكني وجدتها تخصه هو.. بعد أن أتم عمله بنجاح واعتدل لتبدو كامل قامته.. كانت المسافة بين عينيها وعينيه كبيرة، لكن العرفان والحب اللذين كانتا تحتويانه أشعراني بالخجل من جديد.. ومضيت مسرعا في طريقي!

إحدى الليالي

لم تكن تلك الليلة كغيرها.. اجتمعت خمس مراهقات من أماكن متباعدة وثقافات مختلفة في ليلة صيفية جاءت ختاما لنهار شديد الحرارة والرطوبة فكانت نسماتها شحيحة، لكنها مع ذلك جاءت خلاصا من اختناق الظهيرة ولزوجتها.. خمس فتيات.. اثنتان منهن ريفيتان والثالثة من المدينة نصف الكبيرة المجاورة لقريتهما.. الرابعة تقطن خارج البلاد تماما.. والخامسة من القاهرة.. اجتمعت الفتيات الخمس في ختام فرح من أفراح الريف التي تنتهي مبكرا بالنسبة لأفراح المدينة.. جلسن معا أمام باب الدار تحميهن البوابة الحديدية بالخارج.. كنَّ في شبه الحديقة المحيطة بدار والدي العروس.. الكبار بالداخل يتبادلون حديثا صاخبا حول أي شيء الغرض منه فقط قتل الوقت لأنهم يجدون صعوبة في النوم، خاصة أن أكثرهم غريب عن المكان ولم يعتد النوم وسط هذا الحشد الهائل من الناموس.. أما هن فكان حديثهن أقرب للهمس..

– كانت ليلة جميلة..

قالتها إحداهن..

- «عقبالك»..

ردت الأخرى وعلى وجهها ابتسامة تقول بوضوح: «وعقبالي أنا الأخرى».

فترد عليها الأولى بابتسامة خجلى مليئة بالأمنيات والأحلام.. لم تكن تستطيع بالضبط أن تميز مَن منهن تتحدث.. فعلى الرغم من تباين ثقافاتهن ودرجة تعليمهن والبيئة التي تربين فيها.. وعلى الرغم من أن درجة القرابة بينهن بعيدة بحيث لا تجمعهن إلا مناسبات محدودة مثل هذا الحفل.. فإنهن في تلك الليلة بالذات نسين هذا كله.. نسيت كل منهن ما أوصتها به والدتها:

- أنتِ أرقى منهن.. لا تختلطي بهن كثيرا ولا تكثري من الكلام..

- لا تسمحي لهن بالتعالي عليك لأنهن متعلمات في مدارس أجنبية، أنت أحسن منهن بأدبك وأخلاقك..

- فلتصوني لسانك قليلا.. ليست كل الأمور قابلة للحكي.. أعرف جيدا أنك لا تحتفظين بسر وفي النهاية زوجة عمك تصبح على علم بكل صغيرة وكبيرة عنَّا.. والسبب سيادتك!

لم يعبأن بتلك التحذيرات كلها.. لم يضعنها في الاعتبار.. تبادلن حديثا من القلب تتخلله الضحكات الرائقة والدعابات الطفولية المتزجة بروح الشباب.. تحدثن عن مخاوفهن وأوجاعهن الصغيرة النابعة من أول اطلاع لهن على الحياة الحقيقية.. ثم اقترحت إحداهن أن يلعبن قليلا.. النسمات تداعبهن وتجعلهن في حالة أشبه بالحلم.. تتمنى كل منهن ألا تنتهي الليلة أبدا.. وقرب نهاية اللعب ونهاية الحديث ونهاية الليلة قالت إحداهن فجأة:

– «الليلة دي مش هتتكرر».

فانبرت الأخريات مطمئنات لها ولأنفسهن قائلات إن أمامهن الكثير من الليالي الأخرى التي لا بد سيقضينها معا في بهجة.. لكن الليلة لم تتكرر..

فتات المشاعر

عندما أخبرتها الطبيبة أن ما في بطنها أنثى لم تفكر في أي شيء سوى أن عليها أن تحمَل من جديد.. تجاوزت فترة الحمل الحالية والولادة لتبدأ في تخيل ما سيحدث المرة المقبلة.. الرابعة.. على الرغم من أن لديها صبيا في الثالثة فإن وفاة جنينها الثاني فور ولادته جعلتها أكثر رغبة في الحصول على طفل جديد.. ذكر آخر.. كي تشعر بالأمان..

ذلك الإحساس الذي طالما فارقها.. طوال حياتها افتقدت الأمان.. رباه.. ياله من إحساس مرير.. والدها الفلاح المسن.. هي لم تره سوى مسن مريض طوال الوقت.. يجأر دوما بالدعاء أن يزيح الله عن كاهله كل ذلك العبء الذي يثقله.. خمس بنات وولدان في عصر البطالة.. الجميع عالة.. الأبواب مغلقة بشكل لا يطاق.. والأمل أصبح كلمة بلا معنى.. تزوجت أول من طرق بابهم.. عامل بناء.. المهم أنه يكسب ما يكفي ليطعمها.. وارتاح والدها من جزء من همومه.. كانت تسمع أحيانا من صديقتها أنها تشاجرت مع زوجها فذهبت لدار أبيها وتتخيل نفسها لو تركت بيت زوجها لأي سبب من الأسباب.. لن تجد من أبيها سوى كلام

عن الأصول وواجبات الزوجة تجاه زوجها على هيئة غلاف يزين به الحقيقة.. لم يعد لك مكان هنا..

بحثت عن الأمان في مشاعر زوجها.. لكنه كان يحمل لها مشاعر سطحية للغاية.. مجرد زوجة.. أراد تكوين أسرة وإشباع رغبة أي إنسان في الزواج والإنجاب.. وبحث عن أنسب المحيطين ووجدها بعد أن رشحها له البعض.. ألقى على مسامعها في أثناء فترة الخطبة بعض الكلام الرومانسي الذي سمعه في الأفلام فصدَّقته.. ثم سرعان ما تفكك كل ما بينهما.. لتعود كما تعوَّدت في بيت والدها ترضى بفتات المشاعر الذي يلقيه لها مَن حولها.. ابتسامة رضا من زوج بعد عمل طيب منها أو مزحة تداعبها بها حماتها في فترة حملها الأول، خاصة بعد أن علمت أنها ستلد ذكرا وتسميه باسم المرحوم زوجها.. لكنها أبدا لم تشعر بالأمان.. تذكرت يوم أن ضاع الصبي الصغير منهم في الطريق، كيف كان رد فعل حماتها غاضبا عنيفا وموجها لها؛ حيث أخذت تتحدث عن أن هذه المرأة لا بد أن ترحل وأن صغيرها هذا هو السبب الوحيد لبقائها معهم، فإن ضاع لن يعود لها مكان بينهم، ثم عثروا على الصغير سريعا ومضى الموقف وانتهى الأمر.. بالنسبة للجميع إلا هي.. بقي بداخلها ذلك الشعور الممض.. القلق.. عدم معرفة أين سينتهي بها المطاف غدا..

شكرت الطبيبة وانصرفت.. وذهبت لتخبرهم بالأمر.. وكان رد فعلهم كما توقعت تماما ما بين عدم الاكتراث والدعاء لها بأن تؤاخي صغيرها بمولود ذكر آخر..

وحان موعد الولادة.. الغريب أنها كلما وضعت مولودا تشعر بالخوف في المرة التالية بشكل أكبر من سابقتها.. راودها شعور مخيف بشأن فتح بطنها وإجراء الجراحة.. فقد كانت تلد قيصريا.. أغمضت عينيها في قوة.. وحاولت أن تفكر بشكل إيجابي.. بحثت عن الأمان في جنينها القادم.. لكنها بقيت خائفة.. لم تزل تلك الرجفة في قلبها.. فبدأت في تلاوة بعض الآيات القرآنية بشفتين مرتجفتين.. ونظرت في عيني الطبيبة التي لم تكن تنظر إليها بل انشغلت عنها بالتعقيم والأدوات وتوبيخ المرضات.. وعندما غُرس سن الإبرة في معصمها تمهيدا لتخديرها أغمضت عينيها من جديد لعلها عندما تفتحهما تجد نفسها في مكان أكثر أمانا مما كانت تعيش فيه..

فرحة صغيرة

عندما رأيته لست أدري ما الذي جذبني إليه؛ فهو لم يكن أبدا من أولئك الأطفال ذوي العيون الملونة والشعر الناعم الذين يثيرون اهتمام الكبار، بل على العكس كان كل ما فيه يتسم بالخشونة والقوة.. ولم يكن نظيفا أو مهندما، بل كان كعشرات الأطفال الذين أصادفهم في طريقي كل يوم.. كتلة من الحيوية والاندفاع والحمق.. وقد اكتسى كل جزء في جسده بالغبار؛ بحيث أصبح من المتعذّر التعرف على اللون الأصلي لملابسه.. لم تكن براءته أيضا هي التي دفعتني للتوجه نحوه والتوقف عن مواصلة طريقي على الرغم من تعبي وإرهاقي ورغبتي في العودة إلى المنزل سريعا هربا من الحرارة والشمس وطمعا في الراحة والاستقرار وبعض من النوم.. ربما كان عناده وإصراره على تحقيق هدفه هما ما لفتا انتباهي..

كان لديه هدف لم يكن يرى سواه.. وكأنما اختفى العالم كله من حوله وأصبح وحده هو والكرة والكون يدور حولهما.. كان يحاول محاولات مستميتة لإعادة ملء الكرة بالهواء، وكلما فشل حاول من جديد وقد تجمعت قطرات العرق فوق جبهته السمراء المكتسية بحمرة الشمس

فاختلطت بالغبار المتراكم على وجهه مكونة مزيجا قذرا لم يعره الفتى أي اهتمام.. فقد كانت روحه وكيانه لدى تلك المادة البلاستيكية المثقوبة التي يحاول إعادتها للحياة..

عندما وصلت إليه لم ينتبه إلى وجودي فبادرته بالسؤال عما يفعله.. فقال في ضيق وعجز:

– لا أستطيع نفخها.. وأصدقائي قالوا لي إذا لم أعدها كما كانت فسوف يمنعونني من اللعب معهم؛ لأنني أنا الذي ثقبتها..

وعاد إلى عمله ومحاولاته من جديد.. فتأملته طويلا وشعرت بروعة العالم الذي ينتمي إليه هذا الفتى وتمنيت لو كنت مكانه.. كل مشكلتي هي إيجاد وسيلة لملء كرتي بالهواء.. وسعادتي الكاملة هي أن أعود للعب بها مع أصدقائي وأن أحرز أهدافا.. وقررت مساعدته فأخبرته أنني سأصحبه إلى شخص لديه وسيلة لحل المشكلة فبدت علامات الشك على وجهه وقد بدا واضحا أن أسرته حذَّرته كثيرا من الغرباء الذين يقومون باختطاف الصغار وقتلهم، وما إلى ذلك من تنبيهات مرعبة.. وكان لم يتجاوز الثامنة من عمره فشعرت بخوفه مني.. لكني حاولت طمأنته وأخبرته أن هناك شخصا يقوم بإصلاح الدراجات في مكان قريب وأننا هناك سنجد الأداة التي ستعيد الكرة إلى حالتها الأولى.. فقرر أن

يسير معي لكن من دون أن ألمسه..

واتجهنا إلى المكانِ المنتظر؛ حيث أخذ يتابع الكرة بعينيه وهي تنتقل من يد ليد، وبدأ الأمل يملأ نفسه، وكلما امتلأت الكرة بالهواء واتخذت طريقها للعودة إلى سيرتها الأولى لمعت عيناه وازداد فرحه.. وعندما تمت المهمة بنجاح كانت سعادته لا توصف وانطلق يجري وهو ينادي أصحابه بصوت عالٍ منتصر وأخذت أتابعه حتى اختفى وقد امتلأت نفسي غبطة منه.. من فرحته الصغيرة الحمقاء النقية التي غمرت كيانه وجعلت عالمه أكثر رحابة وجمالا..

واتخذت طريقي للعودة وأنا أحاول أن أتذكر فرحتي في سن الطفولة وأقارن بينها وبين فرحتي الآن فوجدت الفارق ضخما.. الفارق بين ذلك الشيء النقي الشفاف الذي لم تلوثه الهموم بعدُ وفرحة محسوب لها ألف حساب تحفها المخاوف مما هو آتٍ والندم على ما مضى.. وقررت أن أتعلم من هذا الصغير وأن أحصل على الفرحة الحقيقية من تفاصيل الحياة الصغيرة التي لا نلاحظها في أغلب الأوقات..



تعجبت لمنظره وهو يستوقف هذا وذاك ليقول لهم شيئا.. وكان رد فعل الجميع يدل على شيء واحد: أن هذا الشخص مجنون! فمنهم من كان ينفجر ضاحكا ومنهم من يدفعه بعيدا بيده.. النساء كن يجرين مبتعدات في خوف.. والأتقياء يبسملون ويحوقلون في خشوع وأسى..

حاولت الاقتراب منه مدفوعا بفضولي الشديد لمعرفة ما يقول، وعندما وصلت إليه كان يبدو أنه قد بلغ حالة شديدة من اليأس من أن يسمعه أحد أو يستجيب له، وبدأ يظهر عليه الذهول وأخذ يحملق في الفضاء كأنما يرى أمامه عالما كاملا آخر غير الذي نراه.. كنت أقف أمامه وجها لوجه تقريبا.. أراه ولا يراني، وقد بدأت أشعر أن ظنون الناس به كانت صحيحة وكدت أمضى لولا أن استوقفتني قبضة يده القوية التي التفت بإحكام حول معصمي، وارتسمت على وجهه نظرة مخيفة كدت أصرخ منها لولا كبريائي التي أبت أن أبدو خائفا كالأطفال فتماسكت وهممت بالكلام بشفتين مرتعشتين، لكنه لم يعطني الفرصة لذلك.. بل أسرع هو بالحديث بكلمات خرجت وهي تحمل غضبا مكتوما نحو العالم

بأسره، وقال:

– تظنني مجنونا؟!

هنا حاول ذهني أن يعمل بسرعة بحثا عن إجابة ترضيه ولا تثير جنونه أو غضبه عليَّ.. لكنه فشل فشلا ذريعا في هذه المهمة؛ إذ وجدت نفسي أقول في سذاجة منقطعة النظير:

– أجل!

فازداد غضبه وحنقه عليَّ وأمسك بتلابيبي وكاد يرفعني من على الأرض رفعا، واحمر وجهه وهو يحاول أن يقول أو يفعل شيئا لكنه لم يفعل.. بل هدأ فجأة وتركني أخلص نفسي من قبضته وقال:

– معك حق.. فكل تصرفاتي تدل على الجنون، لكني لست كذلك.. أقسم لك.. هل تريد أن تعرف ماذا كنت أقول للناس الذين استوقفتهم وفروا هاربين؟

فأومأت بالإيجاب.. فما كان منه إلا أن كشف عن ذراعه لأجد أن هناك جرحا سطحيا جفت دماؤه وبدا غير مؤلم.. فقلت له:

– ما هذا؟

فرد عليَّ وقد بدأت بعض الغيامات في الظهور أمام عينيه قائلا:

- هذا جرح!

- أعرف هذا، لكن ما معنى ذلك؟ وما علاقته بقصتك؟

- هذه هي قصتي..

فبدأت أملّ حديثه هذا وأشعر أنني ورّطت نفسي مع شخص معتوه بالفعل، لكني خفت أن أتركه وأمضي فيهمّ بإيذائي.. فتنهدت بعمق ونفاد صبر، وقلت في برود:

- هل من الممكن أن تشرح لي كيف يكون هذا الجرح البسيط هو قصتك؟ أعتقد أنه سيُشفى خلال أسبوعين على الأكثر ولن يترك أي أثر..

فابتسم في سخرية مريرة وقال:

لقد أصبت بهذا الجرح عندما كنت أقوم بالطهي..

قالها بطريقة ملحمية جعلتني لا أقوى على التحكم في نفسي وانفجرت ضاحكا، ثم سرعان ما تلاشت ضحكاتي أمام وجهه الخالي من التعبير، وتوقعت كارثة، لكنها لم تحدث - حمدا لله - فبعد أن انتهيت من ضحكاتي بدأ هو يسترسل في كلامه كأن شيئا لم يحدث.. وقال:

- عندما أصبت بهذا الجرح صرخت، لكن أحدا لم يسمعني.. فقد كنت وحدي.. عندما كنت أصاب بأي شيء من قبل كانت أمي تملأ الدنيا

هلعا وتحاول تخفيف ألمي مهما كان بسيطا أو تافها.. وكذلك أبي..

فقاطعته قائلا في غباء:

- إذًا فمشكلتك ببساطة هي وفاة والديك.. ولكن لا داعي لكل هذا الحزن.. فكلنا مررنا بمثل هذه الأمور وعلينا أن نتحمل والحياة لن تتوقف.. و...

كنت أقول هذا الكلام وأنا أربت على كتفه فما كان منه إلا أن نزع يدي بقوة وصرخ في وجهي قائلا:

- ألن تخرس أبدا؟

فشعرت بالدم يتصاعد إلى رأسي فلم أعتد أن يهينني أحد بهذا الشكل، خاصة لو كان مجنونا تعرفت عليه منذ دقائق!

لكن خوفي منه ورغبتي في فهم القصة جعلاني أتحمله للنهاية، وعاد إلى حديثه قائلا:

- كان لي إخوة وأصدقاء وزوجة.. كانوا دائما ما يلتفون حولي.. وكنت أضيق بهم.. كنت أراهم سببا لفشلي وعائقا أمامي.. فقدتهم كلهم بنفسي.. أخبرتهم بكل صراحة ووقاحة أنني لا أريدهم وأنني أريد أن أتفرغ لمستقبلي وأحلامي.. سافرت طويلا وعدتُ.. وقد نجحت في تحقيق

كل ما أردته بينما عجزت عن الاحتفاظ بشخص واحد يستقبلني عند عودتي.. أتراهم يعرفون أنني عدت؟ لا.. هم لا يعرفون.. من المؤكد أنهم لا يعرفون.. لا.. بل هم يعرفون بأمر عودتي ويعرفون أيضا بأمر الجرح الذي أصبت به وأنا أقوم بالطهي!

وعاد إلى حالته الأولى من الذهول والتحديق في الفراغ..



عصر القلق

كنت قد وصلت إلى ذروة الإرهاق عندما بدأت القيادة عائدا إلى القاهرة بعد يوم شاق للغاية استنفد كل قواي في مكان مقفر لست أدري من الذي أقنعني بالذهاب إليه.. وكنت أقود سيارتي مسرعا وكلي رغبة في الخروج من هذا المكان والذهاب إلى المحكمة والسيطرة على النقود التي طال انتظاري لها.. كان الطريق مظلما وجميع من بالسيارة قد غرقوا في سبات عميق.. حتى السيارة بدت منهكة كالجميع.. فقد أخذت تترنح وتئن وتصدر أزيزا رتيبا كان له عليَّ تأثير مماثل لصوت الأنفاس الثقيلة المحيطة بي والصادرة من النائمين حولي.. وشعرت كأن هذه الأصوات جميعها مع طنين الحشرات وحفيف أوراق الشجر قد تحالفت معا ضدي لتشعرني بالنعاس، وحاولت بكل قوتي أن أقاوم وأصمد لكن سرعان ما انهارت مقاومتي وسقطت نائما وأنا أقود السيارة!

عندما أفقت لم أصدق أنني ظللت في غيبوبة لمدة ثلاثة أيام.. وعندما بدأت أثوب إلى رشدي شعرت بحجم الكارثة التي أنا فيها.. فنحن في مكان مقفر ليس به وسيلة مواصلات مناسبة لنقل مصابين مثلنا

إلا بعد أيام طويلة.. وحتى الطبيب من الصعب وصوله إلا بعد أيام كذلك.. وجميع الهواتف التي كانت معنا تحطمت.. ووفقا لما قيل لي إنه بعد أن انقلبت بنا السيارة عثر علينا مجموعة من أهل القرية؛ حيث قاموا بنقلنا إلى الدار التي نحن فيها وعلمت أيضا أنني خرجت من الحادث – حمدا لله – بأقل خسارة ممكنة تتمثل في بضعة كسور في أماكن متفرقة وكذلك زوجتي وأخي والمحامي الذين كانوا معي بالسيارة.. في البداية كنت في حالة مزرية من الجزع لأنني عاجز عن الوصول إلى المحكمة في الوقت المناسب لكي أقدم ما يثبت أن أخي الأصغر سفيه وأنه لا يستطيع التصرف في أمواله الطائلة التي ورثها عن أبينا وأمه.. أمه التي تحملناها أنا وأخي الأوسط طوال حياتنا الماضية ومنذ نعومة أظفارنا كزوجة أب.. ثم في النهاية وبعد صبر طويل لا ننال من ثروتها أي شيء ويحصل ابنها على كل شيء.. لكن هذا الحال لن يستمر؛ فكل الوثائق والأدلة بين يدي، وسأحصل على حكم بالحجر عليه وسأمنعه من التصرفات البلهاء التي يقوم بها.. حتى لو تأجلت القضية سأعيد رفعها من جديد وسأكرر جميع الإجراءات وسأقدم الوثائق والعقود التي أبرمها والتي تدل على افتقاده الرشد في تصرفاته.. لكن المهم الآن أن نتحرك من هذا المكان بسرعة قبل أن يقوم هو بالمزيد من التصرفات الهوجاء والتبديد لثروتنا!

كنا في دار لا تستحق هذه التسمية إلا بكثير من المجاملة.. أو يمكن القول إنه مكان ذو جدران وسقف مصنوعين من الطين، وكان هذا المكان مفاجأة لي، فلم أكن أتخيل أنه لا يزال هناك أشخاص يعيشون بهذا المستوى من الفقر والبؤس.. وندمت أشد الندم على قدومي إلى هذه المنطقة للحصول على مستندات تثبت شراء أخي قطعة أرض في إحدى القرى المجاورة واصطحاب جميع شركائي في القضية معي؛ فقد كان من الممكن أن أبعث بأي شخص ليقوم بهذه المهمة بدلا من هذا الجمع.. وكنت كلما اشتد إحساسي بالندم والعجز ازداد غضبي وسخطي على الجميع.. وعندما أفقت لأول مرة أخبرتني زوجة صاحب الدار بأمر الأيام الثلاثة التي غبتها عن الوعي وباسم الشخص الذي قام بتضميد جراحنا وتكلمت كثيرا في أمور أسقطتها من دائرة وعيي على الفور، ثم أخيرا دعتني إلى الإفطار أنا ومن معي.. وبعد الإفطار انتقلتُ إلى الحجرة التي كنت نائما فيها مرة أخرى ولحق بي الثلاثة الآخرون وكان أشدهم غضبا زوجتي الفاضلة! فقد كانت في حالة من فقدان السيطرة على النفس.. كانت تصرخ وتنوح وأخذت تقول بلا وعي:

- سأذهب أنا.. إنني أستطيع الذهاب سيرا أو قفزا أو زحفا.. لقد سعينا إلى هذا الهدف سنين، وتريدون أن نستسلم الآن!

ثم تأوهت لإصابتها، الأمر الذي دفعني للابتسام في سخرية ومرارة.. فقد كانت أول مرة أرى فيها زوجتي على هذا الحال.. هي الوقورة العاقلة دوما، التي كثيرا ما انتقدتني لسرعة انفعالي وعدم تحكمي في أعصابي، لكن سرعان ما تراجعتُ في ابتسامتي عندما لاحظت نظرة غاضبة في عينيها.. فقلت بسرعة في رفق:

- أرجوكِ اهدئي يا عزيزتي؛ فالوقت لم يفُت بعدُ، وما زال بإمكاننا الوصول إلى ما نبتغيه فقط بعد ثلاثة أيام.. أليس كذلك يا أستاذ إمام؟

ونظرت إلى المحامي مستغيثا لكي ينقذني من ثورة زوجتي.. فقال في حنكة:

- كلام البيه صحيح يا هانم، فحتى لو تم شطب الدعوى فإننا يمكننا التعجيل مرة أخرى خلال ستين يوما..

فأشاحت زوجتي بوجهها عنّا وقالت في تأفف:

- لست أفهم شيئا من هذا الكلام..

فقال الأستاذ إمام مستدركا:

- أقصد أن الفرصة لم تضع وأن هدفنا سيتحقق مهما حدث ومهما

جدٍّ من عوائق..

وقبل أن يرد أحدنا سمعنا طرقا على الباب، وكانت فتاة في الخامسة عشرة من عمرها هي ابنة صاحب الدار، وكانت تخبرنا بوصول الطبيب؛ حيث قام بالكشف علينا وتغيير الضمادات البدائية التي كنا نرتديها.. وبعد رحيله تناولنا غداء بسيطا ثم قررتُ أن أحصل على قسط من الراحة والهدوء.. لكن قبل أن أغمض عينيَّ كان هناك طرق على بابي.. ومرة أخرى كانت الفتاة الصغيرة ابنة صاحب الدار.. كانت شاحبة الوجه نحيلة يشي مظهرها بسوء تغذية شديد..

وعندما سمحت لها بالدخول كانت خطواتها مترددة قليلا.. وبها شيء من الخجل.. وأردت أن أشجعها فدعوتها إلى الدخول والجلوس في أي مكان، ففعلت.. وانتظرتُ أن تتحدث فيما جاءت من أجله، لكنها ظلت صامتة تتأرجح نظراتها بين وجهي وقدميها.. تنظر نحوي ثم ترتبك وتعاود النظر إلى أسفل.. ثم تستجمع شجاعتها لتتكلم، لكن تخونها الكلمات فتعجز عن إخراجها من بين شفتيها.. وعلى الرغم من أنه ليس من عادتي التعاطف مع الناس، خصوصا الفتيات الصغيرات البلهاوات، لكني لم أكن أدري لماذا تعاطفت مع هذه الفتاة الصغيرة، فقلت لها في رفق:

- تريدين أن تعرفي شيئا عن القاهرة؟

فأشرق وجهها بابتسامة وأومأت بالإيجاب..

فعاودت السؤال:

- ألم يذهب إليها والدك من قبل؟

فقالت في لهفة:

- لا.. لكني أريد ذلك بشدة.. كنت أتمنى أن أرى فيها الكثير من الأشياء.

فابتسمت لبراءتها وطفولتها.. وفجأة اربدت ملامحها وانقبضت وأوشكت على البكاء فسألتها عما هناك.. فقالت:

- أخي سالم..

فسألتها مستفسرا:

- ما به؟ هل هو مريض؟

فردت في انزعاج:

- لا.. لا تقُل ذلك.. أسأل الله أن يحفظه.. لكن...

- لكن ماذا؟

فقالت في انفعال:

- بالنسبة لي أنا لا يهم فسوف أتزوج قريبا وكذلك أخي محمد فقد بدأ يعمل، كما أنه لا يحب التعليم.. أما سالم.. سالم.. فإنه عبقري.. ومن الممكن أن يصبح طبيبا..

فقلت وقد بدأت أفهم المشكلة:

- هل يريد والداك أن يمنعاه من التعلم؟

فقالت في حقد:

- والدي فقط.. إن أمي لا تفقه شيئا من الحياة سوى ما يقوله والدي!

فتعجبت لأسلوبها في الحديث وقلت:

- وماذا تفهمين أنتِ عن الحياة يا صغيرتي؟

فشعرت أنها صُدمت فيَّ لأنني عاملتها كالآخرين باعتبارها طفلة ساذجة وهمَّت بالرحيل وحاولت أن أستوقفها، لكن والدتها كانت تناديها فأسرعت هي بالتلبية.. تاركة إياي غارقا في خواطري المختلطة وآلامي الجسدية التي - وربما أكون واهما - شعرت بأنها غيَّرت فيَّ شيئا.. ربما شعوري بالعجز وتوقفي عن السباق الذي تدفعنا إليه الحياة

لندخل في زحامه وغيبوبته ولا نستطيع الخروج منه أبدا.. ربما ذلك التوقف الإجباري هو الذي دفعني إلى التفكير ولو للحظات..

لقد كنت دائما ما أقول لنفسي إنني لست شريرا.. إنني أحب أخي ولا يقل حبي له عن حب تلك الفتاة لأخيها الصغير، لكنه حقا سفيه، وإلا كيف يمكن أن يشتري أرضا في مثل هذا المكان الموحش بحجة إقامة مشروع زراعي لمساعدة الأهالي القاطنين هنا؟ وأي مكسب سيعود عليه من ذلك المشروع الوهمي؟ إن أخي يبذّر أمواله لأنه لم يتعب في الحصول عليها ويدعي مساعدة الآخرين والبر بهم والإحسان إليهم.. إنه ساذج ولا يفهم قواعد اللعبة.. لا يفهم أننا نعيش عصر القلق.. عصر السعي وراء لقمة العيش بأية وسيلة وبأي ثمن.. حتى لو كان الثمن هو أن نطأ الآخرين تحت أقدامنا؛ لأننا إن لم نفعل هم سيفعلون.. لقد أقنعتني زوجتي بضرورة حماية أخي الطائش من نفسه؛ لأننا إذا لم نتدخل فسوف تضيع تلك الأموال التي ستصبح يوما ملكا لأبنائنا ما دام أخي لم ولن يتزوج كما قرر هو.. وها أنا ذا أشرع في حمايته..

لكن شيئا ما بداخلي طرأ بعد الحادث وبعد حديث الفتاة.. شيئا يخبرني أنني أغالط نفسي وأنني كاذب كبير، بل إنني ارتكبت أخطر نوع من أنواع الكذب؛ لأنني أكذب على نفسي.. ونظرا لأن المحفز الأساسي

لهذا الشعور كان الفتاة الصغيرة فقد ازداد اهتمامي بها، حتى إنني لم أعد أسمع من كلام شركائي شيئا.. أصبحوا مجرد ضوضاء كريهة تذكرني بقبحي.. أما هي فقد سعيت لاستكمال الحوار معها مرة أخرى لأسألها عمًّا يمكن أن أفعله لأساعدها هي وأخاها في تحقيق هدفهما إلى أن جاء الصباح التالي؛ حيث تمكنت من مقابلتها وسألتها عمًّا يمكن أن أفعله من أجل مساعدتها، لكنها كانت غاضبة لاستهزائي بها وبكلامها وأخذت تخبرني أنها ليست جاهلة وأنها قرأت الكثير والكثير وأنها تعرف عن الدنيا وعن أمثالي الكثير.. وبعد الاعتذار لها وعودة الحديث لمجراه فاجأتني بطلبها:

- أريد أن أذهب معكم إلى القاهرة!

فسألتها في عجب:

- لماذا؟ هل تريدين الهروب من أهلك؟

- بالطبع لا، لكنني أريد أن أعمل من أجل الإنفاق على تعليم «سالم» حتى ولو خادمة لديكم إلى أن يكبر ويستطيع الإنفاق علينا..

- ولماذا لا يساعدك خطيبك في هذا؟

فتنهدت وقالت:

- إنه يراني مجنونة.. أفتقر إلى أهم سمة يجب أن يتسم بها الإنسان العصري: الأنانية.. فإن لم تكن أنانيا نَعَتوك بالجنون!

وبعد برهة من الصمت قالت:

- لم ترد عليَّ.. هل توافق على طلبي؟ إنني جيدة جدا في أعمال المنزل..

فأخبرتها أنني سأفكر ثم أعلمها بقراري قبل رحيلنا..

وعندما أخبروني أن السيارة التي ستقلنا إلى منازلنا قادمة في الصباح التالي كنت لا أريدها أن تأتي بسرعة، فقد كنت بصدد اتخاذ قرار مصيري من الممكن أن يؤدي إلى خسارتي لكل من جاءوا معي إلى هذا المكان.. لقد اقتربت من الموت ثم رأيت تلك الفتاة.. ذلك الشيء الصغير الرقيق وذلك الشيء الضخم المخيف المهيب.. فلم أدرِ أيهما غيَّر مجرى حياتي.. أيهما أخرجني من مركز المتسابق إلى مركز المتفرج على ذلك السباق المحموم للحياة.. ربما كان لكل منهما دور لا يقل عن الآخر.. أجل هذا مؤكد..

وعندما وصلَت السيارة ودَّعت جميع أفراد الأسرة، واعدا إياهم بأنني سأرسل لهم شخصا من قِبلي كان قد اشترى أرضا مجاورة لهم وأنه

من الممكن إذا اقتنع بذكاء وعقلية «سالم» أن يتكفل بمصاريف تعليمه؛ فهو شخص واسع الثراء طيب القلب ربما يعجبه المكان فيقرر الإقامة فيه مدى الحياة.. وقبل أن أرحل اقتربت من «سالم» وهمست في أذنه قائلا:

– أخبر أختك أن أخي سيساعد أخاها كما ساعدتني هي..

وفي السيارة كانت سعادة زوجتي لا توصف وأخذت تثرثر في صخب مع المحامي حول مصير القضية؛ لذلك لم تسمعني لأول مرة وأنا أقول في هدوء:

– سأتنازل عن القضية!



بائعة العطور

في الغرفة التي أعمل بها في إحدى المصالح الحكومية والتي تراصت فيها تسعة مكاتب في حميمة واضحة جعلت المكتب الذي أجلس إليه يرزح تحت حافة المكتب المجاور لأن الأخير أعلى منه ..كان الجو حارًا ولم تفلح المراوح الثلاث الدائرة في تخفيف وطأة الحر ..كان كل منا غارقا في عرقه وغير مستعد إطلاقا لأي عمل ..وقد أخذنا نتناقش في أمور لا طائل من ورائها سوى قتل وقت لم يبد أنه سينتهي ..وإذا بها تدخل علينا ..شعرت بأن الزملاء يعرفونها ورأوها كثيرا من قبل ..بينما كانت أول مرة أراها فقد كنت حديث التعيين ..

بدا عليهم الاهتمام بما تحمله أكثر من الاهتمام بها ..كانت بائعة متجولة تحمل حقيبة ضخمة على كتفها لست أدرى كيف تتحملها وأخذت تخرج ما فيها من عطور وترينا إياها و تستعرض الأسعار ..كانت تبتسم في مرح وتتكلم في بساطة وتلقائية بينما أحاول أنا السيطرة على انفعالاتي حتى لا يبدو أمام زملائي التأثير الذي تركته الفتاة لدى

..لأنهم لو لاحظوا فلن أنجو من سخريتهم اللاذعة.. ولكن الفتاة كانت نموذجا للجمال المثالي من وجهة نظري.. تكاملت كل عناصر وجهها لتصل إلى النموذج الحلم بالنسبة لى رغم ملابسها البسيطة وخلو وجهها من الزينة..

قررت أن أتجاوب معها وأشترى مما لديها علني أطيل مدة بقائها معنا فناديت عليها وكنت أجلس في طرف الحجرة القصي فما كان منها إلا أن اتجهت نحوى في رشاقة لتقع عيني ولأول مرة على جانبها الأيسر.. لأشعر بقبضة باردة تعتصر قلبي..كان الكم الأيسر للبلوزة التي ارتدتها الفتاة خاويا وموضوعا داخل الجيب الأيسر بلا ذراع..نعم ..كانت الفتاة بلا ذراع يسرى..! مادت الأرض تحت قدمي..وازدادت سرعة تنفسي ولم أعد أشعر بالزملاء من حولي ولم أعد أهتم لأمر سخريتهم..بدأت ابتسامتها تأخذ معنى آخر..وكل لفتة منها تثير في جسدي قشعريرة مصحوبة بألم عميق.. وأخذت أحدثها وأنا كالمنوم محاولا بأقصى طاقتي ألا أجعلها تلاحظ صدمتي.. بينما ينمو بداخلي شعور بالاحترام.. احترام إصرار هذه الفتاة على أن تعيش.. نضالها للحصول على حقها في الحياة..عدم استسلامها.. رغم استسلامنا جميعا..

ولا تزال تنتقل هنا وهناك ..برشاقتها وجمالها ..أجرت صفقاتها بسرعة ..جمعت نقودها ..ثم ودعتنا وانصرفت ..تاركة إياي شخصا آخـر غير الذي كنته ..وبقيت في ذهولي إلى أن حان موعـد الانـصراف ..بأسرع مما تصورت..

1مايو 2008

الفهرس






حنان عبد الغفار
فتات المشاعر
قصص
عندما لا يبقى لك عند الجميع من مشاعر سوى الفتات.. عندما تبحث عن الأمان.. الأمل.. البهجة في كل الأشياء من حولك.. ولا تملك سوى الانتظار..
تنتظر لحظة تظنها لن تأتي أبدًا.. لكن بصيصًا خافتًا يخبرك أن الأمل موجود و أن من ييأس هو الخاسر الوحيد..
وقتها ستعلم أن الحياة ليست لونًا واحدًا، وأن عليك أن تتعامل مع كل جوانبها لأنك إنسان.. وقتها ستتعلم أن تلتمس العذر للآخرين وأن تكون أكثر تسامحا معهم..
وأكثر تسامحًا مع نفسك.